ظروف بروز الحركات العمالية في الجزائر

(1880-1956)

د. زبيري حسين /جامعة زيان عاشور،الجلفة.

باحث مشارك CREAD

ملخص

لفهم الحركة النقابية بالجزائر لا بد من الرجوع إلى السياقات الاجتماعية و السياسية التي تزامنت و ظهور هذه التنظيمات في عهد الاستعمار الفرنسي.

فالمتغيرات الاجتماعية التي ميزت هاته الفترة أثرت بوضوح على بنية و تنظيم الحركة النقابية في الجزائر بما في ذلك لوائح المطالب و طرق المطالبة و بدرجة كبيرة على تكوين الفئة العمالية المشكلة من الفرنسيين و الأوروبيين و الجزائريين من الأهالي.و هذا ما سنحاول معالجته في هاته الورقة.

Afin de comprendre l’essence du syndicalisme algérien, me paraît utile de revenir aux contextes historiques et recourir à la configuration sociale, politique et économique qui a accompagné la naissance du syndicalisme algérien.

cette même configuration sociale, qui a caractérisé cette période de l’histoire du syndicalisme Algérien, a laissé ces traces sur la structuration et l’organisation des syndicats que viens de connaitre l’Algérie colonisée, les registres des revendications, les méthodes de revendiquer, et aussi et surtout sur la formation de la classe ouvrière qui était conçu essentiellement des européen et des français, comme

dirigeants, et des Algérie-indigéne- a la base dans le plus part de cas après la loi WALDEC ROUSSEAU

مقدمة

..." أفترض سيدي، أن الإمبراطور الصيني حينما نزل بشواطئ فرنسا بجيشه الكبير، صار السيد على مدننا الكبيرة و على عاصمة بلدنا. و بعدما قام بالقضاء على كل الملفات العمومية و لم يولي أدنى اهتمام للاطلاع عليها ، حيث حطّم و خلق فوضى في كل الإدارة ... تخلى عن كل الموظفين من رئيس الحكومة إلى الحرس المحلي ... لقد تخلص من كل الطبقة الموجهة و قام بنفيهم إلى بلاد بعيدة . ألا تعتقد أن هذا الأمير العظيم، بالرغم من قوته العسكرية،و الكنوز التي بحوزته ، وجد نفسه جد متحيّر و تائه في إدارة البلد الذي استعمرها ، لقد حرم كل خادميه من كل ما من شأنه أن يدعمهم، لدرجة إنهم صاروا عاجزين عن تسيير حياتهم بنفسهم ، وهو الذي جاء من العالم الآخر، لا يعرف لا الدين و لا اللغة و لا القوانين و لا عادات هذا البلد ، و لا استعمالات إدارة البلد ، و هو الذي اختار الابتعاد عن كل ما يمكن أن يعلمه ، فلم يعد في حالة تسمح له بالتسيير...سيدي إذا كانت أجزاء من فرنسا المستعمرة ماديا من طرف المستعمر تحت طاعته فإن الأجزاء الباقية ستسقط في الفوضى. ستكتشف سيدي من أننا فعلنا بالجزائر بالتحديد ما فعله الإمبراطور الصيني بفرنسا".

كان هذا جزء مما ردّ به **توكفيل** في رسالته على طلب احد الضباط الفرنسيين حينما طلب منه أن يرسم له صورة واضحة عن الجزائر و أحوالها، لقد عكس في رسالته حجم المعاناة التي عرفها المجتمع الجزائري، و الطريقة التي تعاملت بها فرنسا المستعمرة– الرأسمالية– مع الجزائر الوطن، و إن كان هذا التعامل لا يخفي بين طياته روح التعالي و النظرة الدونية للشعب .

لقد أحدث استعمار فرنسا للجزائر القطيعة الجذرية مع كل ما هو جزائري ، الثقافات المحلية، الدين، الأعراف و المجتمع، إذ سعت الدولة الرأسمالية الاستعمارية إلى تفكيك البنية الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية للمجتمع الجزائري بشتى الطرق ، و ما مفهوم **الدوّار** إلاّ إحدى إبتداعات الرأسمالية المستعمرة في الجزائر لأجل تفكيك الروابط الاجتماعية التي تربط الأفراد مع بعضهم البعض و تربطهم بالمصدر الاقتصادي لهم ألا وهي الأرض.

كان يحمل الاستعمار الفرنسي للجزائر دلالات نفسية كبيرة، و المبنية على أساس ازدراء الشعوب الأخرى، و لغة التعالي بالمقارنة مع باقي الشعوب المستعمرة التي توصف بالبربرية و الهمجية و التأخر، فالفرنسيون آنذاك أقنعوا أنفسهم بأنهم هم أولئك الذين جاءوا برسالة حضارية، ليخرجوا هذه الشعوب من تأخرها و من بربريتها، و هو نفس النعت الذي أطلقه **توكفيل**[i] في وصفه للسكان الأصليين للجزائر في رسالته تلك .

"فالاستعمار ليبيرالي بالأساس ...و الليبرالية تتطابق بدرجة كبيرة مع ممارسات الإبادة و طرد للشعوب و التعامل معهم على أساس عبيد "[ii] و على هذا الأساس تم التعامل مع السكان الأصليين– الجزائريين– كمواطنين من الدرجة الثانية و تحت إدارة مختلفة و هي إدارة شؤون الأهالي.

و تحت هذه الرؤية تم التعامل مع الجزائري– الأهالي– و تطور مفهوم العامل الجزائري على أساس هده القاعدة. و سنتعرف على الظروف التي سمحت بظهور حركة عمالية بالجزائر التي تختلف عن الظروف التي دفعت بوجود مفهوم الطبقة العمالية التي عرفناها في فرنسا أو في بريطانيا، ،وفي هذا السياق يؤكد **هواري تواتي** من أن" الحركة العمالية في بلاد المغاربة سبقت ظهور مفهوم الطبقة "[iii]

1–: حركة عمالية على حدود استعمارية: مواطنون من درجة مختلفة:

إذا فالاستعمار الفرنسي دخل مصطحبا معه مجموعة من القناعات التي من خلالها تعامل مع السكان الأصليين في الجزائر. و لقد قام هذا التعامل على مجموعة من الآليات التي بنيت على الاستعلاء الاستعماري و على الإذلال للسكان الأصليين للبلاد.

يصعب – على الأقل بالنسبة إلي– على المتتبع لتاريخ فرنسا أن يفهم العلاقة بين الثورة الفرنسية التي جاءت برفض الاستعباد، و جاءت بالقيم " العالمية"، و بين المنطق الاستعماري الذي تميزت به فرنسا لعقود طويلة. المهم أن الاستعمار الفرنسي الرأسمالي كما نعرف سعى إلى تحقيق المصلحة و المنفعة المادية و الثروة و تكديسها و ذلك من خلال أيجاد مساحات أوسع ليبسط هيمنته على المقدرات الخاصة للأراضي الجديدة لتلك الشعوب الموصوفة بالبربرية، و لذلك فهو يفرض كذلك نمط إنتاجه الخاص الذي يدخل في إطار السلسلة الاستعمارية و المبنية على فك الارتباط الوجداني و الجماعي بالأرض و

من ثم إحداث بتر في سبب التضامن الجماعي الذي قد يشكل عائقاً في وجه الاستغلال. و بهذا ظهرت أشكال جديدة من العلاقات الاجتماعية المرتبطة بهذا التغير ألقسري للوضعيات الاجتماعية للأفراد.

من المعلوم أن الاتجاه العام للعمالة الجزائرية آنذاك كان في الزراعة ، حيث كانت تحتل المرتبة الأولى في المهن التي يمارسونها، إنهم أصحاب الأرض ، و لكن مع سياسة الاستعمار الرأسمالي الامبريالي فقد صار أصحاب الأرض من غير عمل في اغلب الأحيان و لذلك شهدت زحف الريفيين نحو المدن لأجل ضمان لقمة العيش لهم و لأبنائهم و هنا تكونت ما سمي بالبروليتارية الجزائرية الزراعية، وتطلق مفردة بروليتاريا على أناس مجبرين على العمل لدى رب عمل لكي يوفروا قوت عيشهم. وكانت البروليتاريا الجزائرية تبدو وكأنها مكانا وسطا بين الريف الذي نزحت منه أغلبيتها، والمدينة التي تعمل بها، وبالتالي بين النمط الاقتصادي التقليدي الذي لفظها، والنمط العصري الذي يشغل أغلبيتها. وتنوعت هذه البروليتاريا تنوعا نسبيا بحكم انحدارها من جهات اختلفت في مدى التأثر بالاستعمار وفي تنظيمها الاجتماعي. ولقد بالغ فرانس فانون مبالغة لا تخلو من الصدق عندما قال: « البروليتاريا هي نواة الشعب المستعمَر الأكثر إذلالا من قبل النظام الاستعماريiv. »

، و لكن الوافدين الجدد من الفرنسيين و باقي الأوربيين ممن دخلوا الجزائر مع الاستعمار سيطروا على كل ما من شأنه أن يذر الربح الوفير، و على كل ما لا يحتاج إلى جهد كبير، وعليه فقد كانت الطبقة العاملة اغلبها أوربية، حيث كان يمثل الجزائريون نسبة ضئيلة جدا منها .

ولذلك كان الوعاء العمالي في الجزائر متكوناً بالأساس من الفرنسيين الأوروبيين، و الأهالي و هم السكان الأصليين للجزائر, و من ثم أمكن حصر ثلاثة أصناف اجتماعية متميزة عن بعضها البعض, الجزائري بالأصل– الأهالي[v]– و الفرنسيين و المهاجرين الأجانب الذين قدموا من أوروبا و بلدان المتوسط، و في هذه الوضعية نحن بصدد الحديث عن تاريخ للحركة العمالية الجزائرية التي نتجت عن صراع في البداية بين الأوروبيين و

الفرنسيين، ثم بين الأوروبيين الذين صاروا فرنسيين و بين الأهالي موضوع الخضوع و الانقياد.

و لأنّ الاستعمار يفرض الامتداد التنظيمي للسلطة المركزية على كل المستعمرات، الآمر الذي يستدعي إيجاد نفس التنظيمات المركزية في المستعمرات و هو ما تعلق بالحركة العمالية بفرنسا التي أوجدت لنفسها مكاتب و تنظيمات نقابية تابعة لها هيكليا و إيديولوجيا و هذا شأن التيار اليساري و أقصى اليسار.

في البداية يجب أن نعرف أن صيغة التعامل مع الجزائريين انبثقت بدرجة كبيرة من مفهوم الجمهورية عند الفرنسيين و المستعمرين،" فأهالي– الاندجينا– الجمهورية هم أولئك القاطنين في مستعمرات، الإمبراطورية أو فرنسا الكبرى، و ليس في الوطن الأم"[vi]، وقد جاء عن جول فيري[vii] **Jules Ferry**، الأب المؤسس للمدرسة الجمهورية من أن مهمة الاستعمار يكمن في " نقل الحضارة إلى الأعراق المتدنية"[viii]. و من هنا " ***يمكن أن نحصل على استعمار جيد من خلال إمكانية الإصلاح التي تفترضها فكرة الجمهورية*** " هذا ما كان يراه الاشتراكيون آنذاك و الحزب الاشتراكي بدرجة أكبر و المكوّن من الأوروبيين فقط ، الذي أقر على أن الاستعمار شكل و طريق من طرق النهضة"[ix] ،وهي أحسن طريق للحفاظ على المستعمرات، و هنا تظهر الانتهازية أين الوطنية " اليمينية" مبنية على المحافظة على تلك المستعمرات و تفرض على اليسار أن يكون مستعمرين إلى النهاية و لا تجعلهم يفكرون في إمكانية الخروج عن حضن فرنسا، و هو الأمر الذي يمنعهم من رؤية حدود الاستعمار الذي ولّد " **الأهالي** "[x]

التجمعات الأولى و التيارات التي مثلت وجهي الحركة العمالية في الجزائر هي تلك التي" ولدت بين المعمرين المهاجرين انطلاقا منذ سنة 1880 و التي نشطت من خلال النزاع بين الأوربيين الأجنبيين و المواطنين من جنسية فرنسية "[xi]، هؤلاء الاشتراكيون الجدد– و الذين سمّوا أنفسهم جزائريين– نادوا باستقلالية الجزائر المستعمرة من الفرنسيين" [xii] ،" هذه التجمعات الأولى من العمال أدّعت بأنها نقابية أو اشتراكية ثورية « أعطت الأولوية للصراع الاجتماعي الذي كان يعفي في غالب الأحيان الانتباه إلى المسألة الوطنية " و كلمة

الاستقلال ينادى بها ما دامت أنها غير ملزمة "[xiii].و لقد جاءت في الكثير من كتابات الفوضويين[xiv] من" أن الاستقلال ليس إلاّ استبدال مستعمر بآخر سيّد جديد أو قيصر"[xv]

لقد تميز ظهور النقابية[xvi] بالجزائر بارتباطه بالحروب العرقية في بدايتها، حيث اندلعت حرب على أساس عرقي، كان يهود الجزائر أول من تلقى تبعاتها حيث تولّد تيار اشتراكي ضد اليهود. حيث قام مؤتمر SFIO لعام 1898 بدراسة مقترح إقصاء اليهود المنخرطين في النقابات و في هذا الإطار يصرح مندوب الجزائر العاصمة في المؤتمر Lorgeas" أن الأمر لا يتعلق بالدين و لكن بعرقهم الممقوت من خلال خصالهم و طريقة عيشهم و انعزالهم و طمعهم"[xvii]، ولقد استرجع اليهود الجزائريون الكثير من الامتيازات فيما بعد بما في ذلك حق التجنس الذي يوفر لهم الحماية. حيث عرف مؤتمر SFIO لعام 1914 و الذي كانت تسيطر عليه الأغلبية الاشتراكية المنادية بالعلاقات الجيدة بين الأعراق.

2-: ظهور للحركة النقابية بالجزائر

فالحركة النقابية التي عرفتها الجزائر آنذاك تميزت عن تلك التي كانت في أوروبا، انطلاقا من الخصوصية التي جمعت ثلاث فئات من العمالة التي تربطهم علاقات مضطربة، بين فرنسي الأصل و الأوروبيين من جهة و مع الأهالي- الجزائريين من جهو أخرى، و الذي كان ينظر إليهم نظرة احتقار، كما أنّ الجزائريين لم يكونوا يعرفون معنى لصراع الطبقات و المفاهيم التي تتعلق بالعامل و المصنع ،التي كانت متداولة كثيرا في أدبيات العمال الفرنسيين بالخصوص.

لقد شهدت النقابية بالجزائر تأخراً في تطورها مقارنة بالتي كانت بفرنسا التي كانت تتمتع بتشريعات النقابية لسنة 1884، الغرفة النقابية الأولى ظهرت بقسنطينة عام 1880، " و بعدها نقابات صقل الحجارة عام 1883 قبل أن يصدر القانون عام 1884 الذي يحصر النقابيين في الفرنسيين فقط دون غيرهم الذين يتمتعون بالحقوق المدنية"[xviii] . لقد تعددت النقابات[xix] الحرفية في وهران و بون- عنابة- و قسنطينة لقد وصل عدد النقابات عام 1894 إلى 51 نقابة – و التي ضمت جمعيات أرباب العمل- في مقاطعة الجزائر العاصمة، 15 بقسنطينة و 07 بوهران. بالنسبة للمدن التي بها بورصات العمل الجزائر

العاصمة – التي لم تكن جدّ مرحّب بها – في عام 1902، فقد تضاعف عددها إلى 81 نقابة ضمت 9500 منخرط منهم الطوبوغرافيون، الاسكافيين، الحلاقين ،بالإضافة إلى نقابات الصناعة، كعمال صناعة البراميل الجد مهمة بوهران و كذلك عمال المطاعم و المقاهي و المشروبات الغازية... و في وهران فقد تم تأسيس سنة 1881 إيذاناً بظهور أولى النقابتين ,واحدة لعمال التركيب بالمطابع , و الثانية للعمال الزراعيين الذين يبلغ عددهم 57 عضواً .

وكانت هناك عدة رابطات عمالية ثم تأسيسها لكنها ضعيفة العدد من حيث المنخرطين "[xx]إن تطبيق قانون 21 مارس 1884 (قانون فالداك روسو[xxi]) المتعلق بالحق النقابي في الجزائر جاء لإثبات واقع موجود حيث كانت النقابة الأوروبية موجودة ولكنها ضعيفة, وذات طابع عرقي و عليها تم تطور الحركة النقابية بطريقة بطيئة .

العمّال اليهود الذين يعتبرون فرنسيين بعد إعطائهم حق التجنس، يمكنهم أن يكونوا و بإعداد كبيرة في داخل بعض النقابات المهنية للألبسة– نقابة الخياطين بقسنطينة مثلاً–كما كان اليهود يصلحون كمترجمين –لأنهم يحسنون العربية و البعض منهم الامازيغية– داخل بورصات العمل بالإضافة إلى التمدرس الذي ساهم في تمكينهم من شغل مناصب كإطارات نقابية، أما عن العمال " الأهالي" فلا يظهرون إلاّ في القواعد المتدنية، في المناجم الورشات ،و أكثر في الموانئ و بعدها في مستودعات السكك الحديدية ، و التراموای، المخازن، المشاريع العمرانية الكبيرة،...حتى حدود عام 1910 حيث سجلوا حضورهم في بورصات العمل"[xxii].

لقد سبق و أن قلنا أنّ التنظيمات النقابية الفرنسية سعت إلى إيجاد امتدادات لها – تنظيمية و أيديولوجيا– في الجزائر و هذا ما سعى إلي تحقيقه المعلم **ماكسيم غيلون**[xxiii] Maxime Guillon الذي نادى بالعالمية البروليتارية على نمط ما ينادي به جولس غاستد Jules Guesde في فرنسا، جيث تنسب إلى **ماكسيم غيليون** [xxiv] تأسيس النقابة الأولى لعمال السكك الحديدية في مجموعة **بون– قالمة،** و أسس كذلك بورصة العمل في **بون** عام 1907، كما يعتبر هذا الأخير المنظم للحركة النقابية في الجزائر و الذي اخذ مكانا

في داخل الكونفيديرالية العامة للشغل الفرنسية **CGT**، و كان المنشط لفيدرالية الاشتراكيين و التي صارت في ما بعد الحزب الشيوعي في عام 1920. كان يؤمن بنهضة المستعمرات من خلال المدرسة و النقابة "[xxv].

تجدر الإشارة هنا أن كل النقابات كانت تنشط تحت تأطير النقابة الفرنسية **CGT**حيث كانت النقابة الوحيدة التي شملت كل النقابات تطابقا مع قانون 1884 الذي ينظم كيفية تأسيس الجمعيات و المنظمات المهنية ، حيث تم تنظيم هذه المنظمات النقابية على هيكلين[xxvi] »من التنظيم: الشكل الأفقي و الذي كان يضم اتحادات المقاطعات الثلاث: الجزائر ، قسنطينة، وهران. التي تشمل كل النقابات التابعة للمقاطعة التي ترتبط مباشرة بباريس، أما الشكل الثاني فهو المستوى العمودي فهو يضم فيدراليات الأسلاك المهنية و القطاعات التي بدورها تجمع الفروع النقابية للمؤسسات لنفس النشاط،هذا التنظيم كان سائدا إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، حيث بعد هذه الفترة عرفت فرنسا موجات من الهجرة نحوها، وهذا لتغطية النقص في المصانع و اليد العاملة التي تم استخلافها بالعمال من المستعمرات خاصة من دول شمال إفريقيا.

لقد ساهم إعادة توحيد CGT et CGTU الأثر الواضح في زيادة عدد المنخرطين ، كما يمكن تقدير عدد المنخرطين إلى 120000 منهم 30 إلى 40% من الجزائريين، المقاطعات الإدارية الثلاث تباينت من خلال تواجد أكبر للأوروبيين بالمنطقة الوهرانية، و تواجد متوسط بالعاصمة و أضعف حضور سجل بالمنطقة القسنطينية...

3: مدّ الإضرابات في الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي

لقد عرفت النقابية الجزائرية نشاطا واسعا من خلال الكونفيديرالية العامة للشغل قبل و بعد الانفصال، فقد شهدت سنة 1919 إضرابات عمال سكك الحديدية و بعدها عمال الموانئ في وهران حيث بدأت بظهور نقابية جزائرية و لو أنها لم تضم أكثر من 1000 منخرط مقارنة مع الأوروبيين الذين كانوا يشكلون الضعف العدد، و في خلال هذه السنة أيضا عرفت الجزائر العاصمة53 إضراب ضمت أكثر من 7836 مضرب"[xxvii].

كما عرفت كل من وهران و سيدي بلعباس و بجاية في جوان 1935 مظاهرات جمعت حوالي 15000 شخص و هي مظاهرات تضامنية بين عمال المدن و الأرياف لتأكيد تواجدهم كعمال لهم حقوقهم المادية و المعنوية.و تواصلت الحركات الإضرابية إلى غاية 1936 من طرف عمال الموانئ و عمال السكك الحديدية عمال الإطارات عمال البريد و عمال التربية الذين تمكنوا من الحصول على الحق في الانخراط و إدارة النقابة"[xxviii] و هذا بتوفر الجو الملائم الذي تميّز بصعود الجبهة الشعبية للسلطة في فرنسا حيث كان لها الأثر الواضح على الحياة السياسية في الجزائر حيث تم إلغاء قانون الأهالي مما سمح للمناضلين الجزائريين تولي مسؤوليات نقابية. و كذلك تميّز بتوحيد المركزيتين النقابيتين: الكونفيديرالية العامة للشغل و الكونفيديرالية العامة للعمل الموحد و هذا بعد التخلي عن شعار الاستقلال الوطني لحساب المطالب المشتركة لكل العمال"[xxix]

تكررت الإضرابات في صيف 1936 إلى خريف 1939 و قد نجحت CGT بقوة من خلال الإعلان عن 40 إلى 50000 منخرط في سنة1937 في منطقة الجزائر العاصمة و 30 إلى 45000 في المنطقة الوهرانية، و أكثر من 30000 في مقاطعة قسنطينة ، و المجموع يقترب من 100000 منخرط، و لقد ضمت النقابة جزائريين و أوروبيين على السواء و الذين يمثلون40 بالمائة من المنخرطين في النقابات و الأمر الآخر فإن أغلب المنخرطين عام 1936 أغلبهم من القطاع العام، إلا أنه عام 1937 اكتسح القطاع الخاص بفضل انضمام عمال البناء إلى تلك النقابات[xxx].

و لقد تنوعت مطالب العمال من خلال هده الإضرابات و تراوحت بين المطالب المادية المتعلقة بالأجر و لواحقه و مطالب تتعلق بظروف العمل كما ضمت مطالب ذات أبعاد سياسية

إلا" أن الملفت للانتباه هو انخراط النقابة في المطالب ذات الأبعاد السياسية و النقابية، أي أن هناك ميل كبير نحو المطالب النوعية، و زيادة كثافة هذه المطالب خاصة في فترة مابعد اندلاع الثورة التحريرية في الجزائر،حيث اتخذت منحى متصاعداً

4 :الهجرة كعامل أساسي لتكوين وعي نقابي لدى العمال الجزائري

يرى بعض الباحثين أن من الصعوبة الحديث وجود " طبقات اجتماعية " وفقا للتصور الماركسي التقليدي خلال الظرف الاستعماري السابق للاستقلال[xxxi]؛ واعتبر غاليسو (Gallissot) أن هذا التصور نابع من فكر استعماري جديد لا يأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات الوطنية، وأنه بمثابة: « عملة مزيفة أجنبية لا يمكن صرفها لا في المغرب العربي، ولا في العالم الثالث[xxxii]، » فبرأيه تتجلى الطبقة الاجتماعية عندما تكون واعية بمكانتها في الإنتاج[xxxiii]. ويضيف بأن البروليتارية الجزائرية لم تكن موجودة. وأنها تشكلت حينئذ في المهجر، أما في الجزائر فقد بدأت تتشكل بروليتارية دنيا نجمت عن النزوح وعن الفقر الريفي[xxxiv].

من خلال التطور التاريخي الذي رصد التغيرات التي عرفتها الطبقة العالمة في الجزائر يمكن ان نفرق بين مرحلتين أساسيتين في تشكل ما قد نصطلح عليه الطبقة العاملة : مرحلة الأولى تبدأ مع دخول الاحتلال الفرنسي في سنة 1830. حيث بدأ يتشكل فيها قطاع الملكية الاستعمارية بمصادرة أراضي الجزائريين، وإبعادهم إلى الأراضي الوعرة أو ضعيفة الإنتاج. ويتحول فيها الفلاحون الجزائريون إلى بائعين لقوة العمل. سواء كانوا عمالا زراعيين مؤقتين، أو موسميين، أو دائمين، أو خماسة ملحقين هامشيا بملكية المستوطن. مما أدى إلى ظهور كتلة من الفلاحين بلا أرض، ولا عمل أو تأهيل في قطاع الصناعة الاستخراجية. وبالتالي اتجهت الجماهير الريفية نحو المدن تدريجيا بحثا عن العمل.

ومرحلة ثانية تبدأ في حوالي سنة 1880 إلى غاية 1954. وهي المرحلة التي تدعم فيها الاستعمار، وعرف الاستقرار. وظهرت فيها قوى جديدة في المجتمع، ونشبت صراعات عمالية متعددة الأشكال، وإضرابات وتظاهرات.

و لقد عانى فيها الجزائريون بعد الحرب العالمية الثانية سوء المعيشة، وندرة السلع وارتفاع أسعارها، وانتشرت البطالة. وعاش الذين حصلوا على عمل سواء في المناجم أو سكك الحديد أو الموانئ أو في مزارع المستوطنين، مخاطر العمل غير المؤهل وسيء الأجرة، و الذي كان مدعم بالتمييز العرقي[xxxv].

ببروز مراكز تجمع العمال في الورشات البناء و السكك الحديدية و الحركية التي عرفتها الموانئ في المدن الكبرى خاصة الجزائر العاصمة و وهران و قسنطينة و عنابة، كل هذا اوجد نوع من الهجرة الداخلية "[xxxvi] التي سمحت بانتقال العمال الجزائريين من مركز إلى آخر ، وقد كان لهذا التنقل دورا فاعلاً في تشكيل نوع من الشبكات العمالية الجزائرية على شاكلة الشبكات العمالية لباقي الأوروبيين كالإيطاليين و البولونيين، و ظهر هذا أكثر عندما كان الانتقال خارج الجزائر و في اتجاه فرنسا التي استقدمت الآلاف من العمال الجزائريين إلى المصانع الحربية لتعويض العجز الناتج في اليد العاملة" إن الحرب هي التي دفعت هذا الحراك من خلال دعوة الجنود و كذلك العمال، فهناك 180000 عسكري استقدموا من الجزائر و يجب كذلك حساب العمال المستعمرين "**les travailleurs coloniaux**" الذين وظفتهم الوزارة الفرنسية للعتاد الحربي انطلاقاً من 1916 لتدعيم اليد العاملة...في داخل مصانع الحربية – 18000 تونسي،**35000** مغربي،**80000** جزائري– إنهم أكثر من **3000000** شمال إفريقي دخلوا فرنسا"[xxxvii]. و إن كان السلطات الفرنسية قد قامت بترحيل عددا كبيرا منهم بعد ذلك ما بين ***19*20– 1921**، و هنا انطلقت معها عملية الذهاب و الإياب من و إلى فرنسا،" ففي التحقيق الرسمي الذي جرى رسمياً في فرنسا عام 1912 قدر عدد الجزائريين الموجودين في فرنسا ما بين 4000 إلى 5000 جزائري، منهم حوالي 2000 من مناطق القبائل و هم من أقدم المهاجرين إلى فرنسا من الجزائر، و كان هؤلاء يعملون في الأعمال الشاقة في مصافي البترول و مصنع الصابون، و بميناء مرسيليا، في حين كان هناك أكثر من 1500 عاملا جزائري يعملون في مناجم الفحم و الصلب و الحديد في شمال فرنسا، وهناك من كان يعمل بباريس في مصفاة سكر و شركة النقل العمومية"[xxxviii]

لقد قلنا أن عملية الهجرة التي عرفتها العمالة الجزائرية و المغاربة على العموم عرفت تكتلات و تشكلت على هيئة شبكات مكنت من حدوث انسجام بينها و توافق في" اختيار النقابة الوحيدة المنفتحة على الأجانب و المهاجرين، إنها النقابية الشيوعية و الممثلة في **CGTU** آنذاك و التي تعتبر امتدادا للنقابية الثورية..." إنه المكان الذي انطلق منه نجم شمال إفريقياENA ،"[xxxix] و الذي استقل عنها عام 1926 بقيادة **مصالي الحاج**[xl]،و يضيف ابوالقاسم سعد الله في كتابه الحركة الوطنية من ان هدف تأسيس نجم شمال إفريقيا هدفان:

الهدف البعيد: استقلال الجزائر الكامل بالوسائل الثورية، الهدف القريب: الدفاع عن مصالح و مطامح عمال شمال إفريقيا في فرنسا ، و إذا كان نجم شمال إفريقيا ولد شماليا إفريقيا فإنه صار منذ 1927 جزائرياً صرفا"[xli]و لقد تمكن الجزائريون و المغاربة على العموم من التعرف عن قرب عن النشاط النقابي في إطار النقابات الثورية و من خلال انضمامهم إلى **CGTU** ." نقابية ثورية و شيوعية التي فرضت نفسها، و التي يمكن أن نلاحظها من خلال الجريدة الشيوعية " الصراع الاجتماعي"حيث كانت CGTU تستعملها كمنبر لها...و التي كانت تدافع على مطلب استقلال المستعمرات من خلال البحث عن التحالف مع الوطنيين من الشعوب المقهورة" و لقد لقت هذه الفكرة تجاوبا كبيرة في الجزائر من قبل "الشباب الجزائري Jeunes Algériens"[xlii].

إذاً النقابيون الجزائريون تكونوا خاصة في المهجر[xliii] في ظل النقابات الفرنسية خاصة منها CGTU(الكونفيديرالية العامة للعمل الموحد) ،

إن انضمام الجزائريين إلى الحركة النقابية تم بطريقة جد بطيئة، وهذا الانضمام كان منعدما إلى غاية 1920 ,و تطور تدريجيا بصفة محسوسة من (1920 إلى غاية 1956)"[xliv].

لقد تميزت سنوات 1950 بالانقطاع بين العمال و التنظيمات العمالية و ذلك راجع إلى حرب الجزائر، هذا الانقطاع في البداية كان مع PCF، CGT، و بدرجة أقل انقطاع العلاقات بين العمال الجزائريين و العمال الفرنسيين... مع أن العلاقات بين العمال الجزائريون و الكونفيديرالية العامة للشغل في بداية سنوات الخمسينات كانت جيدة و التقارب كبير و كانت حسنة كذلك مع الحزب الشيوعي الفرنسي. " مناضلين ذو اتجاهات وطنية أكثر منها شيوعية، انتظموا في حركة انتصار الحريات الديموقراطية MTLD، العمال الجزائريين انخرطوا بقوة في CGT في فترة نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات، حيث تبنت هذه الأخيرة إستراتجية" **طبقة ضد طبقة**" و كذا تبنت مطالب الاستقلال الوطني الجزائري في صراعاتها" **ضد الامبريالية، مع السلام و ضروف عيش أحسن**" تلك المطالب صارت أكثر قوة بين الجزائريين من 1945–1948 مع القمع الذي ألب المتظاهرين في المنطقة

القسنطينية– أحداث ماي 1945 و كذا غياب التغيير نكاية في إصدار قانون خاص بالجزائر "[xlv].

- **أول ظهور لنقابة جزائرية مستقلة:**

لم تظهر "**نقابة وطنية جزائرية** " إلاّ مع تأسيس حزب جديد ل**مصالي الحاج** المتمثل في الحركة الوطنية الجزائرية **MNA**، للرد على جبهة التحرير الوطني و نقابتها المزمع تأسيسها، و تمثلت الحركة النقابية المصالية في اتحاد نقابات العمال الجزائريين**USTA**، بالاتفاق مع نقابات فرنسية، حيث ضمت 5000 جزائري مهاجر منخرط ،لتعتبر بذلك أول نقابة جزائرية ولدت بالمهجر و كان ذلك في 14 فيفري 1956 بقيادة محمد رمضاني، و التي كانت تعمل ضد جبهة التحرير الوطني ضد الشيوعيين و الناصريين و لقد صرح أحد قادتها آنذاك أحمد عفري في لقاء في باريس 21 فيفري من" أن **USTA** تمثل جميع العمال بغض النظر عن أصولهم و دينهم و فلسفتهم"[xlvi]، و قد أقامت هذه الأخيرة مؤتمرها الأول في جوان عام1957 و الذي شمل 300 منتدب و فيه تم المناداة بتحرير المرأة الجزائرية و حول التصنيع و الإصلاحات الزراعية في الجزائر، كما تناولت أيضا مواضيع متعلقة بالبترول بالصحراء الجزائرية و التجارب النووية التي قامت بها فرنسا بالصحراء الجزائرية.

يظهر أنّ هذه الأخيرة" لم تكن تضم إلاّ العدد القليل من المنخرطين يعدّون بالمئات بالجزائر و اغلبهم من سائقي الحافلات، إلاّ أنها في فرنسا(25 جانفي 1957) كانت تضم عدد لا بأس به من المنخرطين خاصة في الغرب و الشمال الفرنسي(من المصاليين تاريخياً)."

و في هذه الاثناء قررت جبهة التحرير الوطني انشاء ما سمي آنذاك بالودادية العامة للعمال الجزائريينAGTA "[xlvii].و التي سبقها" إعادة تنظيم و هيكلة العمال الجزائريين بالمهجر حيث قسمت إلى خلايا و أفواج و ولايات:فكانت الخلية تتكون من 6 إلى 7 مناضلين، و الفوج من 15 إلى 20 شخص، القسمة أو المنطقة من 5200 إلى 8000 شخص أما الولاية من 25000 إلى 30000 شخص" ، و قد وجه محمد البجاوي"[xlviii] تعليمات إلى العمال الجزائريين بفرنسا بالبقاء داخل النقابات الفرنسية مع الفرنسيين و تأييدهم في مطالبهم.

خلاصة

تجمعات عمالية، صراع طبقي، نقابات...مجموع من المفاهيم التي عرفت نشأتها و بلورتها في ظروف اجتماعية و اقتصادية مختلفة تماما عن الظروف الاجتماعية و الاقتصادية التي ميزت المجتمع الجزائري غداة الاستعمار الفرنسي لها، و لكل مفهوم مدلولات اجتماعية عميقة لا يمكن التعامل بها إلا بوعي الذي يربطها بظروف نشأتها و بروزها.

و النقابة كمفهوم أساسي عرفها العامل الجزائري و تبناه سبق وجودها كشكل منظم لمجموع العمال قبلّ أن يكون صراع بمحتوى إيديولوجي، و عليه فلا يجدر بنا المقارنة و المقاربة بين تلك الأشكال و التعامل معها على أساس هويات تنظيمية واحدة ، و لا أعتقد ان هناك مجال للمقارنة إلا من ناحية طريقة تنظيمها أو من ناحية استراتيجياتها المطلبية ، و إن كان كانت هذه الأخيرة أي الاستراتيجيات هي تعبير حقيقي عن تلك الإيديولوجيات التي يتبناه كل تنظيم نقابي.

فالنقابة الجزائرية المستقلة التي عرفتها الجزائر في فترة الاستعمار الفرنسي، و إن كان تنشط في إطار الفضاء العمالي إلا ان هدفها الأساسي من خلال تلك النشاطات ليس فقط تحسين ظروف العمال الجزائريين و لكن أيضا المساهمة في توحيد صفوف العمال مع الفكرة المركزية التي نشأت عليها و هي الاستقلال عن المستعمر الفرنسي.

الهوامش

[i] لقد دعي توكفيل في بدايات زياراته إلى الجزائر عام1841 من ضرورة إيجاد نظامين إداريين يحكمان الجزائر، نظام خاص بالمسلمين و آخر خاص بالأوربيين... و لقد تغيرت مواقفه كثيرا حينما تولى منصب وزير خارجية فرنسا في فترة الجمهورية الثانية عام 1849 و أكد من ضرورة احتفاظ فرنسا بمستعمراتها و ذلك لكبرياء فرنسا، انظر René GALLISSOT, **Algérie colonisée Algérie Algérienne-1870-1962, La République Française et les indigènes**, Barzakh, 2007 p.14.

[ii] René GALLISSOT, **Algérie colonisée Algérie Algérienne-1870-1962, La République Française et les indigènes**, Barzakh, 2007.p.10.

[iii] Noureddine SRAIEB et autres, **Le mouvement ouvrier Maghrébin**, édition du CNRS, Paris, p.322.

iv FANON FRANTZ , **Les damnés de la terre**, Paris, éditions Maspero, 1956, p. 64

[v] يشير ريني غاليسو في كتابه حول معنى Indigènes و التي يربطها بمعنى كلمة aborigène المستعملة على السكان الأصليين في استراليا، و الذين يقصدون من ورائها " طبيعي"، أين الانديجان ربطت بالطبيعي البدائي

[vi] René GALLISSOT, **Algérie colonisée Algérie Algérienne-1870-1962, La République Française et les indigènes**, Barzakh, 2007.p.07

[vii] Il y a un second point que je dois aborder… : c'est le côté humanitaire et civilisateur de la question-… Les races supérieures ont un droit vis-à-vis des races inférieures. Je dis qu'il y a pour elles un droit parce qu'il y a un devoir pour elles. Elles ont le devoir de civiliser les races inférieures". 28 juillet 1885: Jules Ferry"

[viii] Ibid. p.07

[ix] Ibid. p.17

[x] اخذ هذا الفقرة بتصرف عن René GALLISSOT, **Algérie colonisée Algérie Algérienne-1870-1962, La République Française et les indigènes, Op. cit**.p.07، و لكن مع ملاحظة أحببت ان أضيفها و المتعلقة في المحاولة الجادة من الكاتب في دفع الاتهام عن الاشتراكيين من الفرنسيين في مسألة قبولهم لفكرة الاستعمار، إحساس يغمرني كلما توغلت في قراءة ما جاء في هذا الجزء من الكتاب، تبرير لا أكاد أجد له بد إلا ارتباط و امتداد عقدي، فكري بين الكاتب و بين التيار و إن كان الدفاع غير المباشر عن هذا التيار يغرق التيار أكثر مما يعطيه الشرعية على الأقل في هذه الحقبة الزمنية من الاستعمار الفرنسي للجزائر.

[xi] René GALLISSOT, **Algérie colonisée Algérie Algérienne-1870-1962, La République Française et les indigènes**, Op.cit.p.16

[xii] René GALLISSOT**, le Maghreb de traverse, Op. cit.** p. 86.

[xiii] René GALLISSOT, **Algérie colonisée Algérie Algérienne-1870-1962, La République Française et les indigènes**, **Op. cit**. p.17.

[xiv] Anarchistes

[xv] Ibid., p.17.

[xvi] النقابية هي ترجمة شخصية للكلمة الفرنسية syndicalisme و التي لا تعني الهيكل التنظيمي للنقابة ، بل تعني كل المراحل التاريخية و الفكرية لهذا التطور التنظيمي،و حتى نضع فارقا بينها و بين كلمة حركة نقابية،mouvement syndical، التي عادة ما يشير إلى التطور التاريخي أو التنظيمي كل على حدى.

[xvii] Ibid., p.23.

[xviii] René GALLISSOT**, le Maghreb de traverse, Op. Cit**, p. 86.

[xix] لقد سبقت هذه التنظيمات النقابية النقابة الأهالي للوقاية و التي كانت تعمل على -1- إسعاف و مساعدة العمال الزراعيين و الفلاحين الفقراء، و تعمل على وقاية من خلال التامين الجماعي ضد الحرائق و كانت بمثابة تعاضديه الفالحين و الخماسين.انظر abderrahil Taleb Bendiab **,Chronologie des faits et mouvements sociaux et politique en Algérie,1830-1954**,,imprimerie du centre ,Alger,1983,p. 22.

[xx] من تاريخ الحركة النقابية الجزائرية دراسات و بحوث و شهادات تاريخية، نفس المرجع، ص 111.

[xxi] في 21 ماي 1884تم الاعتراف بالجمعيات النقابية "يمكن تأسيس النقابات و الجمعيات المهنية بطريقة حرة لأجل دراسة و الدفاع عن مصالحها الاقتصادية " و لقد سمي هدا القانون **loi WALDEC ROUSSEAU**

[xxii] René GALLISSOT**, le Maghreb de traverse, Op. cit**, p. 88

[xxiii] فرنسي كان يمارس مهنة التعليم في الابتدائي بسيدي بلعباس حيث كان المتحدث باسم الفرع الشيوعي للمنطقة و هو نقابي اشتراكي ممن يميلون لفكر جاست

[xxiv] René GALLISSOT**, le Maghreb de traverse, Op. cit**, p. 88

[xxv] Ibid., p 88.

[xxvi]Nasser DJABI, **KAID LAKHDAR une histoire du syndicalisme algérien**, entretiens, CHIHAB Editions2005, p.90 بتصرف

[xxvii] René Gallissot, le Maghreb de traverse,**Op.Cit**, p.103

[xxviii]BENALLEGUE Nora, le mouvement gréviste en Algérie dans les années30-35,in » **revue arabe du travail** »,Organisation arabe de travail, Mai 1991,P.84.

[xxix] DJAGLOUL Abdelkader, **Rétrospective sur le mouvement syndical Algérien**, centre National de recherche Scientifique, Oran, 1986, p.111.

[xxx] René Gallissot, **le Maghreb de traverse**, **Op.cit.**, p.104.

[xxxi] ANDREE (M) : Les classes sociales en Algérie, in **Cahiers internationaux de sociologie**. Volume 38[e], 1965, p. 207

[xxxii] René Gallissot**: Maghreb Algérie, Classes et Nation**, tome 1, Arcantere, p. 266

[xxxiii] Ibid, p. 265

[xxxiv] René Gallissot, **Maghreb Algérie**, tome 2, **Op.cit.**, p. 32

BENALLEGUE, **Op. cit**. p. 90 [xxxv]

[xxxvi] Ibid. p .97

[xxxvii] René Gallissot**, le Maghreb de traverse, Op cit**, p.97

[xxxviii] سعدي بزيان،**دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر في ثورة نوفمبر 54،التاريخ السياسي و النضالي للعمال الجزائريين في المهجر من نجم شمال إفريقيا إلى الاستقلال**، مطبعة هومة،من دون سنة الطبع ،ص 08.

[xxxix] René Gallissot**, le Maghreb de traverse, Op cit** p .97

[xl] [xl] لقد انتقل مصالي الحاج و هو ابن عامل جزائري إلى فرنسا عام 1919 في إطار أداء الخدمة العسكرية، وهنا تعرف على فرنسا و على زوجتهEmilie Busquant ابنت عامل من المناضلين مع النقابيين الفوضويين، و بباريس تعرف مصالي الحاج على الحركة العمالية الفرنسية،انخرط مع الحزب الشيوعي الفرنسي لسنوات عدة نضاله ضد الاستعمار و بعد عام1926 أسس عبد القادر حاج علي ENA ا تحت غطاء الحزب الشيوعي الفرنسي و شارك مصالي في المؤتمر الدولي لمناهضة الامبريالية في بروكسل و في العام الذي تلاها شهدت قطيعة بينه و بين التيار الشيوعي . منعت ENA عام 1929 من النشاط و أعيد تأسيس حركة أخرى تحت اسم Glorieuse Etoile Nord Africain GENA

[xli] سعدي بزيان،مرجع سابق،ص 14.

[xlii] René Gallissot**, le Maghreb de traverse, Op cit**, p.98

[xliii] يمكن الرجوع للإطلاع اكثر حول تأثر النقابيين الجزائريين بالنقابية الفرنسية من خلال شهادةالنقابي قايدي لخضر في كتاب للسيد جابي ناصر،قايدي لخضر حكاية النقابية الجزائرية،حوار، الشهاب للنشر،2005 باللغة الفرنسية.

[xliv] نفس المرجع ،ص 127

[xlv] Laure Pitti, La main-d'œuvre Algérienne dans l'industrie automobile (1945-1962) ou les oubliés de l'histoire ,in **» Immigration et Marché du travail** - N° 1263 - Septembre-octobre 2006, p.54.

[xlvi] François WEISS, **Doctrines et actions syndicales en Algerie,** Editions CUJAS, 1997, p.29.

[xlvii] René Gallissot, **Dictionnaire biographique du mouvement ouvrier Maghreb, Algérie : engagement sociaux et question nationale de la colonialisation à l'indépendance de 1830à 1962**, edittion de L4ATELIER ; Paris, 2006, p.29.

[xlviii] مجاهد في صفوف جبهة التحرير الوطني و تم إرساله إلى فرنسا للعمل على تأطير الجالية الجزائرية و ربطها نضاليا بالجبهة و قد كان مكلفا أيضا بالتصفية الجسدية لمصالي الحاج.